

غادة شبير ورحلة البحث المضنية عن ا

جمهور المتذوقين طويلاً يومذاك في دار الأوبرا القاهرة.

□ بيروت - بيار أبي صعب

أيتها المولع هنا

وها هي غادة شبير تعود بعد غياب، حاملة أسطوانة رقمية (سي دي)، ذات نوعية تقنية وفنية لافتة، تتضمن كنوزاً من المنشحات القديمة التي أعادت احياءها على طريقتها، بأمانة وحيوية وجدارة مهنية اكيدة. وترافق إطلاق أسطوانة «الموشحات» التي أصدرتها شركة «فوروارد موزيك» (غازى عبدالباقي وكارول منصور)، مع حفلتين استثنائيتين أحياهما غادة، أمس وقبله، في «مسرح المدينة»، اقتصر برنامجهما على المنشحات أيضاً، وهو مجال اختصاصها الأساسي، إلى جانب التراثيل السريانية القديمة، هي الحائز شهادة ماجستير في العلوم الموسيقية والغناء الشرقي من جامعة الكسلين في لبنان.

على خشبة «مسرح المدينة» إذا، وقف غادة بفسانها الطقوسي الأسود، وربطة شعرها الخمرية، يحيط بها «تخت موسيقى» يتشكل من أبرز ما تعرفه الساحة اللبنانية حالياً من موسقيين وعازفين: شربل روحانا على العود (لعب دوراً أساسياً في اصدار الاسطوانة على صعيد الموسيقى)، سمير سبليني على الناي، طوني خليفة على الكمان، عبد العصري على الباص، على الخطيب على الرق، وجليبért يمین على القانون (في تسجيلات الاسطوانة، نسمع قانون إيمان حمصي). أدت منشحات نادرة، بعضها غير معروف، ومعظمها مجهول المؤلف. كان بينها «أيتها المولع هنا» لخمس ترثان، و«على بلد المحبوب» للسباطي، و«موشحات مثل يا قوام البان» و«ما احتيالي» و«غضبي جفونك» و«قم بنا حانة الحمي».. كما حضر سيد درويش بكثافة «منيتي عز

■ رحلة البحث عن الطرب الأصيل محفوظة بالمخاطر.. فهي غالباً ما تقضي إلى نوع من المتحفنة الميتة التي تجرد الفن من حيويته وغناء الداخلي، أو تقع في فخاخ الفولكلور السطحي. أما المشاريع التي تدعى «تجديد» التراث الموسيقي العربي وتطويره، فقد تقلب بدورها إلى مخاطرة في تشويه هذا التراث، وتجرده من جوهره وخصوصيته. نعم، رحلة البحث عن الطرب الأصيل محفوظة بالمخاطر، خصوصاً حين يكون الدافع إليها «أكاديمياً»، علماً أن الحفاظ على التراث القديم وأرشفته وحفظه، هي مهمات الأكاديمية بامتياز.

ومع ذلك، نجد أن مشروع الدفاع عن الطرب قائم اليوم في العالم العربي، أكثر مما كان عليه في العقود الماضية. يعود ذلك، على الأرجح، إلى بروز جيل جديد من الفنانين الباحثين عن الجذور، الساعدين إلى إعادة اكتشاف مدارس وقوالب فنية، واحتياطها، ونشرها على نطاق

واسع. وحل غادة شبير التي سلطت عليها الأضواء أخيراً في بيروت، في عداد هؤلاء.

بين مطلي المتحفنة والتجديد السطحي، يتقى هامش المناورة ضيقاً وصعباً، نادراً ما يغامر في ارتياهه فنانون حقيقيون. يحرّكم دافع ابداعي أولاً، ويستندون في سعيهم إلى إلمام واسع ومهيبة ناضجة ومتغولة. وهذه المواصفات تنطبق على غادة شبير، الفنانة اللبنانيّة الشابة التي حازت جائزة الأغنية العربية في مصر عام 1997، وصّفّ لها



الطرب الأصيل

اصطباري»...). وسرعان ما تفاعل الجمهور مع ادائها الحر، الذي يولي التفاصيل والتنمية، عنابة خاصة، ويحترم بصرامة القوالب الأصلية، ناقلاً المحتاليات بкамملها من دون إضافة أي تاليق جديد للمقدمات أو الفواصل أو الخاتمات. ما يهم غادة شبير هو بلوغ الحالة الطربية الصرفة. لذلك اختارت العودة إلى الصيغة الأساسية القديمة لكل موشح، وأهملت كل محاولات «الإعداد» التي راج على أساسها عدد كبير من الموشحات. فالتجديد - برأيها - يقوم على الاجتهاد في الاداء، هنا يبرز كل مفهوم فنه وقوته وتمايزه، من دون المساس بهيكلية اللحن الأساسي. ذلك أن الموشح يترك للمؤدي حرية كبيرة في التعبير عن احساسه، شرط البقاء داخل الواقع والحفاظ على هيكلية اللحن. من هنا اعلانها حرياً صريحة على «اعتماد الاوركسترا السمفونية مع الموشح»، وعلى كل محاولات تجميد هذا القالب الغنائي الفريد، عبر «توزيع يكيل المطرب، ويحد من عطائه، ويجعله أسير جملة كثرت فيها العلامات الموسيقية المحتالية أو الهازمونية، حتى إذا أراد المطرب التحرّف والارتجال والخروج عن المكتوب، أصبح نشاداً على الفرقة».

وتراهن غادة شبير على احياء هذا الفن العريق الذي أبصر النور في العصر الذهبي للعرب في الأندلس، خلال القرن العاشر للميلاد، ثم تشكل في قوالب مختلفة بين المغرب والشرق ولم ينتشر إلا في القرن الثالث عشر للميلاد. وتم حفظ الموشحات وتناقلها لقرون طويلة، قبل أن يبدأ تجميعها وحفظها على يد محمد شهاب الدين في القرن التاسع عشر... ويبدو أن عام ١٩٣٢ الذي شهد انعقاد «مؤتمر الموسيقى العربية» في القاهرة، يعتبر تاريخاً مفصلياً في تاريخ الموشح الذي حمله درويش الحريري عازفاً ومؤدياً إلى المؤتمر المذكور... قبل أن يتجدد ويزدهر وينتشر على يد مؤلفين بارزين بينهم عمر البطش ومحمد عثمان وسيد درويش والشيخ زكرياً أحمد ورياض السنطاطي... وصولاً إلى الأخوين رحيماني وتوفيق البasha. وربما لا يعرف كثيرون أن القدور الحلبي هي في أصلها تنوعات هجينة على فن الموشح.

وأسطوانة «الموشحات» التي أراد من خلالها غازي عبد الباقي وكارول منصور «استعادة هذا العصر الذهبي العربي»، تحمل بصمات غادة شبير، غناء طبعاً، إنما بحثاً وتنزيطاً. تشتمل الأسطوانة أيضاً على كتيب توضيحي، يعطي معلومات فنية وتاريخية ثمينة، كما يشرح نوع كل موشح (المزين، المركب الإيقاعات...) ومميزاته وتركيبته (مثلاً: دورين خانة وغطاء...). وقدمت غادة شبير والمجموعة في الأسطوانة تسجيلات لموشحات عدّة مثل: «بدرى أدر»، «بدت من الخدر»، «هجرني حببي»، ليالي الوصل»، «يا غزالاً»، «بدر تم»، وغيرها...